

موقف الحركة الصهيونية

من مشروع يوغنكه

(١٩٠٣ - ١٩٠٥م)

الدكتور : وسام حسين عبد الرزاق

الجامعة العراقية - كلية الآداب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## التمهيد :

البحث عن جذور الاطماع التوسعية الصهيونية يتطلب العوده الى الاسس الفكرية للحركة الصهيونية منذ بدايات نشأتها . فقد مرت الحركة الصهيونية بمرحلتين : الاولى ، مرحلة ما قبل عام ١٨٩٧ م ، حيث كانت الصهيونية في طور التكوين الفكري كحركة دينية سياسية ، والثانية ، مرحلة ما بعد عام ١٨٩٧ م ، حيث اتخذت اطاراً وشكلاً تنظيمياً واضحاً مما وفر لها مناخاً ملائماً للتطور الفكري والتوسع الافقي على مستوى القواعد الجماهيرية ، كما اتاح لها ذلك موقعاً على خارطة المنظمات السياسية في اوربا (١) .

ارتبطت بدايات ظهور الفكر الصهيوني مع بروز المشكلة اليهودية<sup>(٢)</sup> **Jewish Question** ، ومحاولة بعض الشخصيات اليهودية ايجاد حل

(١) عبدالوهاب الكيالي، المظامع الصهيونية التوسعية، سلسلة دراسات فلسطينية (٣)، منشورات مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦، ص ٣-٥

(٢) المشكلة اليهودية : نشأت في شرق اوربا في اواخر القرن التاسع عشر اثناء مرحلة الانتقال من النظام الاقطاعي الى النظام الرأسمالي ، وفشلهم في التأقلم مع توجهات الاقتصاد الجديد ، الامر الذي دفعهم الى الهجرة الى الولايات المتحدة الامريكية والى عواصم دول اوربا الغربية مما ادى الى بروز المشكلة اليهودية في دول اوربا الغربية ، ودفع هذه الاخيرة الى اصدار قوانين تمنع الهجرة الى اراضيها . وفي الوقت نفسه ، فإن هذه الهجرة لم تساهم في حل المشكلة اليهودية في اوربا الشرقية وذلك لان زيادة الجالية اليهودية قد استمر بوتيرة عالية الامر الذي ادى الى حصول مشاكل وصدامات بين مواطني تلك الدول واليهود . لمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: رؤية نقدية، منشورات مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٣٦٣ - ٣٦٥ .

لها. وكان من اوائل المتصددين لايجاد حلول لهذه المشكلة الحاخام تزفي هيرش كاليشر<sup>(١)</sup> **Tzvi Hirsch Kalischer** (١٧٩٥-١٨٧٤م)، الذي دعا الى هجرة اليهود الى فلسطين عن طريق انشاء جمعيات تتولى الاشراف على هذه الهجرة تنظيميا ورعاية<sup>(٢)</sup> .

جاء اغتيال القيصر الروسي الاسكندر الثاني || Alexander (١٨٥٥-١٨٨١ م) ليزيد من سوء اوضاع اليهود في روسيا ولا سيما بعد ان وجهت السلطات الروسية اصابع الاتهام الى اليهود الروس بتدبير عملية اغتيال القيصر<sup>(٣)</sup> . الامر الذي ادى الى اثار الشعب الروسي

(١) تزفي هيرش كاليشر : حاخام يهودي ، ولد في احدى المقاطعات البولندية الخاضعة للسيطرة الروسية ، يعد من اوائل الدعاة للفكر الصهيوني العدواني المتطرف ، وعمل على تحويل مفهوم العودة من مفهوم ديني عاطفي صرف الى مفهوم سياسي مؤطر بالفكر العقائدي . ونادى بالاستيطان تمهيدا لعودة المسيح المخلص . واصر كتابا بعنوان (السعي لصهيون ) يعد اول كتاب كتب باللغة العبرية يتحدث عن الاستيطان الزراعي في فلسطين ؛ المصدر نفسه ، ص ٣٠٧ .

(٢) عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٣) لقد نفذت عملية اغتيال القيصر الاسكندر الثاني من قبل ستة افراد ، خمسة شبان من اصل روسي وفتاة يهودية تدعى هيسيا وهؤلاء جميعا اعضاء في منظمة ارادة الجماهير **The Peoples Will** . سلافة حجاوي ، اليهود السوفيت : دراسة في الواقع الاجتماعي ، منشورات مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ ، ص ٤ .

ضدهم ، وحصلت اول اعمال العنف بعد ستة اسابيع من عملية اغتيال القيصر (١).

ما حدث في روسيا، دفع ليوبنسکر (٢) Leon Pinsker (١٨٢١-١٨٩١ م) الى نشر كتابه الذي حمل عنوان (التحرر الذاتي) الذي اكد فيه على جملة من الامور لعل من ابرزها ، ان حل المشكلة اليهودية لن يكون الا بواسطة حل قومي عن طريق تجميع اليهود كأمة مستقلة في فلسطين او في غيرها من البلدان ، لذلك دعم ليوبنسکر جهود البارون موريس دي هيرش (٣) Maurice De Hirsh (١٨٣١-١٨٩٦م)، الرامية لتوطين يهود روسيا في الارجننتين (٤) .

(١) للاطلاع على تفاصيل حياة اليهود في روسيا يمكن الرجوع الى : وسام حسين عبد الرزاق ، هجرة يهود روسيا الى فلسطين ١٨٨٢-١٩١٧ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ٦٣- ٧٠ .

(٢) ليوبنسکر : شخصية يهودية ولد في روسيا ، تلقى تعليماً علمانياً ، تخرج من كلية الطب في جامعة موسكو كان من رواد حركة الاستنارة اليهودية ، وداعياً الى اندماج اليهود بمجتمعاتهم لكن احداث عام ١٨٨١ م جعلته يغير رأيه واخذ بالبحث عن حلول اخرى للمشكلة اليهودية ، اختير اول رئيس لجمعية ابناء صهيون . ينظر : عبدالوهاب المسيري وسوسن حسين ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٣) البارون موريس دي هيرش : شخصية يهودية ولد في المانيا وحصل على ثروة كبيرة جداً عن طريق العمل المصرفي ، كان من اوائل الساعين الى ايجاد وطن لليهود خارج اوربا ، لهذا فقد تبرع بمبالغ طائلة لجمعية الايانس ، ولقد سعى لتوطين يهود روسيا في الارجننتين . ينظر : عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين ، المصدر السابق ، ص ٤٢٤-٤٢٥ .

(٤) افرايم مناحيم تلمي ، معجم المصطلحات الصهيونية ، ترجمة احمد بركات العجومي ، عمان ، دار الجليل ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٠ .

ولابد من البحث عن الاسباب التي جعلت ليوبنسكرا لا يشترط ان تكون فلسطين ووطناً قومياً لليهود ، بل نجده يسعى لايجاد مكان اخر لتوطين يهود روسيا ، وقام بدعم مشروع توطين اليهود في الارجننتين . ولعل السبب يكمن في ان ثقافته وتعلمه كانتا علمانية ، حيث انه لم يدرس في مدرسة دينية قط ، كما انه لم يعيش في الاحياء اليهودية (الجيتو) بل انه كان منفتحاً ويمارس حياته كأبي مواطن روسي بكل حرية (١) .

صدر ثيودور هرتزل (٢) Theodore Hertzl (١٨٦٠-١٩٠٤م) كتابه الذي حمل عنوان (دولة اليهود) ، الذي لم يتضمن اي فكرة جديدة سوى انه تجاهل ذكر فلسطين وتجاهل اللغة العبرية ، وكان يتضمن مشروعاً مادياً صرفاً يركز على الجانب السياسي فقط ، حيث يرى بان المشكلة اليهودية موجودة في كل مكان يتواجد فيه اليهود باعداد كبيرة وان حلها لن يكون الا حلاً سياسياً (٣) .

مما تقدم يتضح وجود تياران داخل المنظمة الصهيونية ، تيار يريد ان يجد مكاناً آمناً يتوجه اليه يهود العالم سواء كان هذا المكان فلسطين او

(١) عبدالوهاب المسيري وسوسن حسين ، المصدر السابق ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) عبدالوهاب الكيالي ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٣) من المعروف تاريخياً ان المكان الذي وقع الاختيار عليه لعقد المؤتمر الصهيوني الاول هو مدينة ميونيخ الالمانية ، لكن يهود هذه المدينة رفضوا استقبال المؤتمر في مدينتهم ، فأختيرت برلين بدلاً عنها الا ان اليهود فيها رفضوا ايضاً لهذا وقع الاختيار اخيراً على مدينة بازل السويسرية . راجع : يوميات هرتزل ، ترجمة هدا شعبان ، اعداد انيس الصايغ ، ط٢ ، منشورات مركز اجاث منظمة التحري الفلسطينية مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٨٧٨ .

غيرها من الاماكن ، وقد تزعم هذا التيار هرتزل ومن على شاكلته من الشخصيات اليهودية العلمانية التي لم تتلقى تعليماً دينياً ، وكانت تنادي بامكانية اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها ، وقد عرف هذا التيار بأسم الصهيونية السياسية<sup>(١)</sup> Political Zionism . اما التيار الثاني فقد اشترط ان تكون فلسطين الهدف الاساسي لجهود المنظمة الصهيونية ، وكان اغلب اعضاءه من الذين تلقوا تعليماً دينياً تقليدياً وكانوا يعيشون في الاحياء اليهودية المغلقة (الجيتو) . وكان مشروع توطين اليهود في يوغنده نقطة صدام بين التيارين ، وهذا ما سوف

(١) الصهيونية السياسية : اصطلاح يستخدم للتفريق بين البدايات الاولى للتجمعات الصهيونية مثل جمعية ابناء صهيون وجمعية البيلو من جهة ، والحركة الصهيونية التي نظمها هرتزل من جهة اخرى ، على اساس ان التنظيمات الاولى كانت جماعات ذات طابع واتجاه روحي تهدف الى توجيه اليهود نحو فلسطين معتمدة على التبرعات المالية التي يقدمها اليهود لتمويل نشاطاتها ، اما صهيونية هرتزل ، فأنها كانت تدعي انها قد حولت المسألة اليهودية الى قضية سياسية وحاولت الترويج لها على هذا الاساس ، وانها توجهت الى الجماهير اليهودية بصورة مباشرة متجاوزة الحاخامات والاثرياء اليهود . يؤمن الصهاينة السياسيون بأن المسألة اليهودية هي مشكلة الفائض السكاني اليهودي غير القادر على الاندماج مع الشعوب والاقوام الاخرى من الديانات الاخرى ، ورأوا ان معادات السامية مرض خبيث لا شفاء للمجتمعات الغربية منه ، وهو يؤدي الى عدم الاندماج اليهودي في تلك المجتمعات ، ويفرض عليهم ان يضلوا جماعات تعيش مثل الضيف الثقيل ، والجسم الغريب ، وتنتقل من مكان الى اخر لانها لاوطن لها ، ولا يمكن حل هذه المشكلة الا بأن يصبح اليهود شعباً مثل كل الشعوب ، ولن يحصل ذلك الا عن طريق تهجير اليهود وتجميعهم في فلسطين او اي مكان اخر في العالم يوافقون عليه . لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى : عبدالوهاب المسيري وسوسن حسين ، المصدر السابق ، ص ٢٥٢-٢٥٣ .

نتعرف عليه من خلال هذا البحث ولمن حسم هذا الصراع في نهاية الامر .

ولابد من القول ، اتخذت مجموعات عديدة من اليهود الذين انصهروا مع شعوب اخرى ، مواقف مضادة من الحركة الصهيونية في بادىء الامر ، اذ كان يعتقد هؤلاء ان الحركة الصهيونية ستعمل على زعزعة مواقعهم ولا سيما الاقتصادية منها في البلدان التي يعيشون فيها ، وربما ستزيد من عداة الشعوب الاوربية وكرهها لليهود ، وتصبح مسألة التعايش والاندماج الحياتي مع الشعوب الاخرى صعبة للغاية ان لم تكن مستحيلة . غير ان اراء وافكار العديد من هذه المجموعات بدأت بالتغير لصالح الحركة الصهيونية بعد ان حققت الاخيرة تواجداً ملحوظاً على الساحة السياسية الاوربية ، ولاقت تاييداً واسعاً من الاوساط الرسمية والنقابية فيها<sup>(١)</sup> .

### الحركة الصهيونية ومشروع يوغندا :

سعت الحركة الصهيونية منذ بدايات تكوينها الى الحصول على موافقة الدولة العثمانية على توطين اليهود في فلسطين ، على اعتبار أنها صاحبة السيادة على ارضها ، ولما اصطدمت هذه الجهود بجدار الرفض العثماني ، فقد لجأ القادة الصهاينة الى البحث عن مشروع بديل ، على أن القبول به ما هو إلا مرحلة أولى لتجميع يهود العالم في مكان محدد تمهيداً لتوجههم الى فلسطين متى ما أصبحت الظروف الدولية ملائمةً لذلك ، ولعل مشروع يوغنده كان بمثابة احد هذه المشاريع ، لكنه قد اثار

(١) الان بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥ ، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين ، ج ٢ ، بغداد ، دار المأمون للترجمة والنشر ، ١٩٩٢ ، ص ٤١٤ .

الكثير من الخلافات داخل المنظمة الصهيونية نفسها ، وقد كادت هذه الخلافات أن تهدد وحدة وكيان المنظمة الصهيونية<sup>(١)</sup> ، وهذا البحث يسلط الضوء على هذا المشروع بتفاصيله ، ومن وافق عليه ومن وقف ضده ، وكيف تم حسم الخلاف عليه . وسيحاول الباحث الاجابة عن هذه الاشكالية .

بدأ هرتزل نشاطه في الدخول بسلسلة من المفاوضات السياسية مع الدول الكبرى بصورة عامة ، ومع الدولة العثمانية على وجه الخصوص ، استمرت حتى عام ١٩٠٤ م وذلك للحصول على ترخيص بقيام شركة تعمل على تهجير اليهود الى فلسطين ، وقد اطلق هرتزل ومؤيدوه على عملية الموافقة على الهجرة لفظة "البراءة" (Charter) ، فقد كان يؤمن بأن لا يبدأ الاستعمار الصهيوني لفلسطين على نطاق واسع ومنظم الا بعد الحصول على البراءة ، لهذا فقد تفاوض مع السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م)<sup>(٢)</sup> . إلا أن جهوده لم يكن نصيبها الا الفشل الذريع<sup>(٣)</sup> .

(١) عبد القادر ياسين ، الحركة الصهيونية ، مجلة افاق عربية ، بغداد ، العدد ٢ ، ١٩٧٧ ، ص ٢٥-٢٦ ؛ اسعد عبد الرحمن ، المنظمة الصهيونية العالمية (تنظيمها واعمالها ، ١٨٩٧ - ١٩٤٨ ) ، منشورات مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٢٦-٣٣ .

(٢) للاطلاع على تفاصيل حياة السلطان عبد الحميد الثاني . انظر : اورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني حياته واحداث عصره ، دار الانبار ، العراق ، ١٩٨٧ .

(٣) قام هرتزل بخمسة زيارات الى العاصمة العثمانية اسطنبول ، ولم يتمكن من مقابلة السلطان الا في مرة واحدة ، وقد استخدم مختلف الوسائل (الاعراء- الرشوة - الضغط) لاقتناع السلطان بالسماح لليهود بالهجرة الى فلسطين الا ان السلطان كان جوابه=

فلجأ هرتزل الى بريطانيا ، وفي عام ١٩٠٢ دخل في مفاوضات مع جوزيف تشمبرلين (Joseph Chamberlain) وزير المستعمرات في الحكومة البريطانية (١٨٣٦-١٩١٤م) ، وفي اثناء المحادثات عرض هرتزل مطالبه وسعى للحصول على موافقة بريطانيا لاستعمار قبرص ، الخاضعة للسيطرة البريطانية لكن تشمبرلين عارض هذا الطلب بحجة أن سكان قبرص هم خليط من اليونانيين المسيحيين على المذهب الارثوذكسي ، والأتراك المسلمين ، والذين لا يمكن طردهم باي حال من الاحوال خوفاً من ردة الفعل السلبية التي قد تتخذها كل من روسيا القيصرية واليونان والدولة العثمانية في حال تنفيذ المخطط الصهيوني<sup>(١)</sup>. دفع هذا الامر هرتزل الى التقدم بعرض مشروع جديد ، يقوم على اساس استعمار الصحاينة لمنطقة العريش المصرية . لكن الوزير تشمبرلين طلب منه أن يتصل بوزير الخارجية انذاك اللورد لانسدون

=بالرفض القاطع لمطالب هرتزل . انظر : يوميات هرتزل ، المصدر السابق ، ص١٢٨-١٦٤ ؛ حسان علي حلاق ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩ ، بيروت ، دار الجامعة ، ط٢ ، ١٩٨٠ ، ص١٠٢-١١١ ؛ محمد عبدالله العيسى ، الفكر الصهيوني عند هرتزل بين النظرية والتطبيق ١٨٩٤-١٩٠٤ ، مجلة دراسات ، الجامعة الاردنية ، العدد ٢ ، ١٩٩٣ ، ص ٤٣-٤٥ .

(١) الان بالمر ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٧٣ ؛ ديزموند ستيوارت ، هرتزل اول دراسة موضوعية عن مؤسسة الحركة الصهيونية ، ترجمة فوزي وفاء و ابراهيم منصور ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٣٤٦-٣٥٠ ؛ للاطلاع على اهمية قبرص وعلاقتها بروسيا واليونان والدولة العثمانية انظر : هاشم صالح التكريتي ، المسألة الشرقية المرحلة الاولى ١٧٧٤ - ١٨٠٦ ، بغداد ، مطبعة دار الحكمة ، ١٩٩٠ ، ص ٩٢-٩٥ .

(Lord Lansdowne) (١٨٤٥ - ١٩٢٧ م) <sup>(١)</sup>. لأن مصر بما فيها العريش تقع ضمن مسؤولية وزارة الخارجية. وقد حصل اللقاء بين الطرفين ، وقدم هرتزل مطالبه ، لكن وزير الخارجية اشترط لاعطاء موافقته ، أن يقوم بعرض الموضوع على المفوض البريطاني في القاهرة اللورد كرومر (lord Cromer) (١٨٤١ - ١٩١٧ م) <sup>(٢)</sup> ، إلا أن الاخير وقف بشدة ضد هذا المشروع معتمداً على تقرير الخبراء البريطانيين ومفاده ان مشروع استيطان العريش المصرية غير عملي من الناحية التنفيذية ، وأنه باهض التكاليف في الوقت نفسه ، كما ان الحكومة المصرية قد رفضته بصورة قاطعة وحاسمة ، حتى أن هرتزل نفسه كان قد أبدى تعجبه من صرامة الموقف المصري <sup>(٣)</sup> .

(١) اسمه الحقيقي هنري بيتي فينر موريس ، اصبح الماركيز الخامس لانسدون في عام ١٨٦٦ م وكان من انصار حزب الاحرار ، وقد تولى مناصب متعددة ، منها منصب حاكم كندا عام ١٨٨٣ م ، ونائب الملك في الهند (١٨٨٨-١٨٩٤م) وتوفي عام ١٩٢٧ . ينظر الان بالمر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٣-٣٤ .

(٢) ولد عام ١٨٤١ في أيفلين بارينغ ، وتخرج في الكلية العسكرية ضابط مدفعية ، عمل في مجلس الملك في الهند ، حصل على لقب لورد عام ١٨٩٢ ، عمل قنصل بريطاني عام في مصر لمدة اربعة وعشرون عاماً ، وقد استطاع ان يدير الشأن المصري بكل اتقان وأن يكرس الاحتلال البريطاني لمصر ، وكان يوصف بانه الملك غير المتوج في مصر ، تقاعد عن الخدمة العامة في عام ١٩٠٧ . ينظر : المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢١-٢٢٢ .

(٣) يوميات هرتزل ، المصدر السابق ، ص ٢٤١-٢٤٤ .؛ محمد عبدالله العيسى ، المصدر السابق ، ص ٤٨-٥١ .

## مشروع يوغندا Project Uganda :

كانت الحكومة البريطانية قد وجهت اهتمامها الى اوغندا بعد وصول السير فريدريك Sir . Frederick اليها في كانون الاول - ديسمبر ١٨٩٠ م ، وتوصل مع الحاكم المحلي الى معاهدات تتيح لشركة افريقيا الشرقية البريطانية ان تكتشف المنطقة وثرواتها . وفي حزيران - يونيو ١٨٩٤ م اعلنت الحكومة البريطانية ان اوغندا احدى محمياتها في شرق افريقيا . وفي حقيقة الامر ، كانت بريطانيا تتطلع الى حماية طرق تجارتها والوصول الى منابع النيل (١) .

اجتمع هرتزل مرة أخرى مع تشمبرلين في ٢٣ نيسان ١٩٠٣ ، وفي الاجتماع عرض الأخير على هرتزل ما يعرف بأسم مشروع "افريقيا الشرقية " ( East Africa Project ) ، حيث قال له ما نصه : " لقد وجدت أثناء رحلاتي قطعة أرض مناسبة لك في يوغندا . أنها حارة عند الساحل ولكن المناخ يصبح ممتازاً في الداخل حتى بالنسبة للأوروبيين يمكن أن تزرعوا فيها القطن والسكر . وقد قلت لنفسي بمجرد أن وقعت عيناى عليها هذه أرض مناسبة للدكتور هرتزل (٢) .

يعرف أيضاً بأسم مشروع يوغندا ، وهو الاسم الذي يطلق عادة على الاقتراح الذي تقدمت به الحكومة البريطانية في عام ١٩٠٣م على لسان وزير المستعمرات تشمبرلين للحركة الصهاينة ليقموا عليها مقاطعة استعمارية خاصة لتجميع يهود العالم في شرق افريقيا وتكون خاضعة للتاج البريطاني . وقد اتضح فيما بعد ان تشمبرلين قد وقع في

(١) الان بالمر ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ .

(٢) يوميات هرتزل ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠ .

خطاً جغرافي حيث تبين ان الارض التي عرضها على هرتزل لم تكن يوغنדה ، وانما هي هضبة (غوس نفيشو) الواقعة ضمن اراضي محمية افريقيا الشرقية الخاضعة للسيطرة البريطانية . وتم اعلام هرتزل بالأمر في العشرين من ايار ١٩٠٣ م غير ان المشروع ظل يعرف تاريخياً باسم مشروع يوغنדה وتبلغ مساحة هذه الارض (ثمانية عشر الف ميل مربع) وهي ارض وعرة لا تصلح للزراعة وتحتاج اموال طائلة لإصلاحها<sup>(١)</sup>.

يتبادر الى الذهن سؤال مهم ، عن السبب وراء الاهتمام البريطاني الرسمي بإيجاد موطن لتهجير اليهود اليه واسكانهم فيه ؟ ولعل الاجابة تكمن في أن الحكومة البريطانية اخذت تضيق ذراعاً بإعداد اليهود الكبيرة المهاجرة الى الجزر البريطانية ، والقادمين من روسيا القيصرية، ابتداءً من عام ١٨٨٢م مع صدور قانون ايار (May law)<sup>(٢)</sup>. وقد حاولت الحكومات البريطانية المتعاقبة أن تحدد هذه الهجرة ولاسيما بعد ظهور علامات التذمر بين صفوف ابناء الشعب البريطاني وعلى وجه الخصوص في لندن ، وقد تكلفت هذه الجهود بأصدار ما عرف بأسم

(١) عبدالوهاب المسيري وسوسن حسين ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩-٢٣٠ .

(٢) اتهم اليهود الروس بالتدبير والاشترك في محاولة اغتيال القيصر الاسكندر الثاني (١٨٥٥-١٨٨٢ م) ، وكان من ضمن اجراءات الحكومة الروسية ضد اليهود أن قامت باصدار قانون عرف بأسم قانون مايو نسبةً إلى شهر مايو الذي صدر فيه ، وقد تضمن تمييزاً كبيراً ضدهم ، حيث أنه حدد حرية تنقلهم واستقرارهم وعملهم داخل روسيا . ينظر :- صحيفة القبس ، اليهود من اعتلاء الاسكندر الثاني العرش الى اغتياله ، الكويت ، عدد ٦٤٥١ ، ١٩٩٠ ، ص ٢٣ ؛ عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين ، المصدر السابق ، ص ٢٩٥ - ٢٩٧ .

لائحة الغرباء) Aliens Bill هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، وضمن جهود الحكومة البريطانية لابعاد الهجره اليهودية عن اراضيها فقد عملت على إيجاد مكان يهاجرون اليه، وبالتالي ابعادهم عن الاراضي البريطانية ، والافادة منهم في دعم مشاريعها الاستعمارية الاستيطانية<sup>(١)</sup>.

### المؤتمر الصهيوني السادس :

عقد المؤتمر الصهيوني السادس في مدينة بازل بسويسرا في ٢٢ آب ١٩٠٣م، وقد وضع مشروع يوغنده في مقدمة جدول أعماله ، أعلن هرتزل امام اعضاء المؤتمر أن الحكومة البريطانية قررت وضع جزء من شرق افريقيا البريطانية تحت تصرف المنظمة الصهيونية بهدف تنفيذ مشروع استيطان اليهود فيها ، واقترح هرتزل ارسال لجنة لدراسة امكانية الاستيطان في هذه المنطقة من عدمها ، وفي حال توصل اللجنة الى نتائج ايجابية ، فإن المنظمة الصهيونية ستعقد اتفاقا ملزما بهذا الشأن مع الحكومة البريطانية للمباشرة باتخاذ الاجراءات الكفيلة بانشاء المستعمرة هناك . و اشار الى ان هذه المستعمرة ستمتع بالحكم الذاتي وتعيين ادارة يهودية محلية وحكومة يهودية ومندوب سامي يهودي، على

(١) بدأ العمل بهذا القانون (لائحة الغرباء) عام ١٩٠٢ ، ولم يبلغ الا في عام ١٩١١ حيث قام تشرشل باصدار أوامر تخفف من صرامة فقراته ، لاسباب تتعلق بالانتخابات . لمزيد من التفاصيل ينظر :- سلافة حجاوي ، الهجرة اليهودية الى فلسطين وسياسات الدول الكبرى ، مجلة دراسات فلسطينية ، بغداد ، عدد ٢٧ ، ١٩٧٨ ، ص ٢٤ - ٢٦ ، ريجينا الشريف ، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي ، ترجمة أحمد عبدالله عبد العزيز ، موسوعة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٥ ، ص ١٧٨ .

أن تكون خاضعة للسيادة البريطانية العليا . كما أكد هرتزل على أن هذا المشروع سيساهم بالتأكيد في حل المشكلة اليهودية في أوروبا من دون أن تتنازل الحركة الصهيونية عن أي من مبادئها الأساسية<sup>(١)</sup>.

طرح المشروع للتصويت ، لكنه واجه معارضة شديدة من مندوبي يهود روسيا ، لكنه أقر بأغلبية قليلة ، حيث حصل على (١٩٥) صوت ، وقد عرف هؤلاء "بالياساكر" (أي القائلين نعم بالألمانية) ، وكان أغلب هؤلاء من يهود أوروبا الغربية ، في حين عارض المشروع (١٧٧) صوت ، وقد عرفوا "بالناين ساكر" (أي القائلين كلا) ، في حين امتنع (١٠٠) عضو عن التصويت ، ولوحظ أن أثناء جلسة التصويت قيام إحدى مندوبات روسيا بهاجمة منصة المؤتمر التي علقت عليها خريطة يوغنده ومزقتها<sup>(٢)</sup> .

وما أن أعلنت نتيجة التصويت حتى انسحب المعارضون من قاعة المؤتمر وهددوا بالانشقاق عن المنظمة الصهيونية ، غير أن هرتزل تدخل لحل هذه المسألة حين أعلن أنه لن يوافق على استعمار يوغنده بصورة نهائية الا بعد عقد مؤتمر صهيوني خاص لمناقشة هذا الموضوع ، وأن موافقة المؤتمر تكون على أساس تقرير اللجنة المرسلة الى يوغنده

(١) يوميات هرتزل ، المصدر السابق ، ص ٣٠٤-٣٠٥ ؛ امين عبدالله محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى الحرب العالمية الأولى ، موسوعة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٤ ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٢) يوميات هرتزل ، المصدر السابق ، ص ٣٠٤-٣٠٥ ؛ خالد القشطيني ، مشروع إنشاء المستعمرة اليهودية في يوغنده ، مجلة شؤون فلسطينية ، بيروت ، العدد ٢ ، ١٩٧١ ، ص ١٠٥ .

. مما هدأ من غلو المعارضين واجل انشاقهم عن المنظمة الام . هذا الانقسام داخل الحركة الصهيونية دفع بالاعضاء الصهاينة الروس الى تبني تيار سياسي جديد وهو ما عرف بأسم الصهيونية العملية Practical Zionism<sup>(١)</sup>.

### مؤتمر خركوف :

قام الصهاينة الروس بعقد مؤتمر في مدينة خركوف في اوكرانيا الروسية في تشرين الاول عام ١٩٠٣ ، وقد عرف هذا المؤتمر بأسم (مؤتمر خركوف) نسبةً الى المكان الذي عقد فيه ، تركزت أعماله حول سبل مقاومة مشروع يوغنده ، وقرر المؤتمر ارسال رسالة الى هرتزل وطالبوه فيها بإلغاء هذا المشروع وحذفه من أعمال المؤتمر الصهيوني القادم ، وحذروه في حال لم ينفذ هذا الطلب فإنهم سيعلمون

(١) هو تيار سياسي ظهر داخل الحركة الصهيونية ، كان ينادي بأن المسألة اليهودية لن يأتي حلها عن طريق الاعتماد الكامل على الجهود السياسية والدبلوماسية ولا عن طريق الضمانات الدولية ، وإنما عن طريق الجهود اليهودية الذاتية والعمل والمساهمة في خلق امر واقع في فلسطين واعادة بناء الوطن القومي ، وقد كان وايزمن من اهم قادة هذا الاتجاه ، وقد خلفه بن جوريون ، كما أيد هذا الاتجاه جماعة أعباء صهيون الذين كانوا يحاولون استيطان فلسطين عن طريق العمل البطيء المثابر ، والاختلافات بين الصهاينة السياسيين والعمليين ليست خلافات في المصالح ولا حتى في الرؤيا ، إنما هي اختلافات في التكتيك والسياسة التنظيمية التي يعود بعضها إلى التنوع في الانتماء الطبقي والحضاري ، ولكنها لا ترقى بتاتا إلى مستوى الاختلافات الفكرية والتي تؤدي الى صراع لا مغزى او دلالة له . لمزيد من التفاصيل ينظر :- عبدالوهاب المسيري وسوسن حسين ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ ؛ أمين عبدالله محمود ، المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

انشاء منظمة جديدة خاصة بهم ، ولن يشتركوا مستقبلاً في اي مؤتمر تعقده المنظمة الصهيونية<sup>(١)</sup>.

لم يكتفِ أعضاء مؤتمر خركوف بهذه الرسالة بل قاموا بتشكيل وفد مصغر عن المؤتمر ، لمقابلة هرتزل وعرض وجهة نظرهم ، وقد قام الوفد في ٣١ كانون الاول عام ١٩٠٣ بمحاولة مقابلة هرتزل ، لكن الاخير رفض بادىء الامر وقال "أن قرار الأغلبية في المؤتمر الصهيوني ساري المفعول" ، إلا أنه بعد مدة قرر ان يقابل اعضاء الوفد كافراد ، وقد تمسك بالمشروع ، وأشار الى ان رفض المشروع أو بقاءه هو بيد المؤتمر الصهيوني السابع ، وليس من حق اي أحد أن يقرر رفض أو قبول المشروع قبل عقد المؤتمر<sup>(٢)</sup>.

انتهج صهاينة روسيا اسلوب عقد المؤتمرات وتقديم الاحتجاجات التي تتدد بمشروع يوغنده ، فضلا عن ذلك انتهجوا اسلوب التصفية الجسدية ضد القادة الصهاينة المؤيدين لهذا المشروع ، فقد تعرض ماكس نوردو Max Nordau (١٨٤٩-١٩٢٣)<sup>(٣)</sup>، أثناء حضوره لأحدى

(١) افرايم ومناحيم تلمي ، معجم المصطلحات الصهيونية ، ترجمة أحمد بركات العجرمي ، دار الجليل ، عمان ، ١٩٨٨ ، ص ١٨٢-١٨٣ .

(٢) ديزموند ستيوارت ، المصدر السابق ، ص ٢٧٠ - ٢٧٦ .

(٣) هو مفكر الماني وزعيم صهيوني ، اسمه الاصلي سيمون ماكسيميليان سودفيلد ، ولد في المجر ، تلقى تعليماً دينياً في بداية حياته ، ثم درس الطب في المجر وباريس ، وعمل في الصحافة مدة من الزمن ، من أهم مؤلفاته كتاب بعنوان (أكاذيب حضارتنا التقليدية) ، وقد هاجم فيه الدين والتقاليد اليهودية بأسم العلم ، وكان يعد نفسه مفكراً اوربياً لا وطن ولا قومية له، تعرف على هرتزل الذي قام بمفاتيحه بفكرة الدولة الصهيونية فرحب بها ، وقام بالقاء الخطاب الافتتاحي عن وضع اليهود في العالم في =

الاحتفالات التي كانت تقيمها المنظمة الصهيونية على قاعة شاراس في العاصمة الفرنسية باريس لمحاولة اغتيال ، فبعد منتصف الليل تقدم نحوه طالب يهودي روسي في الرابعة والعشرين من العمر ، يدرس الكيمياء في باريس ، واطلق رصاصتين من مسدس كان يحمله وهو يصرخ قائلاً: "الموت للافريقي الشرقي"، ولكن شاء القدر ان هاتين الرصاصتين لم تصب نوردو ، فأصابت الرجل الذي كان يقف الى جانبه، وعلى أثر هذا الحادث قام مراسل صحيفة ليبرا بارولا (libra Parola) ، بزيارة نوردو في منزله بباريس للاستفسار منه عن ملابسات الحادث ، فما كان منه الا ان قام بالتمديد بصهاينة روسيا ، وصورهم بأنهم لا يفقهون الاهداف الصهيونية ، على اساس أنها مسألة "قومية" وليست "دينية" كما يتخيلون (١) .

أخذت الاوساط المؤيدة لمشروع يوغنده (الصهيونية السياسية) بتوجيه الاتهامات الى ممثلي يهود روسيا داخل المنظمة الصهيونية ، وذلك لعدم تعبيرهم بصدق عن اراء ناخبيهم : "فالرأي في روسيا رأي مؤيد للمشروع" (٢)، وقد اشار هرتزل الى هذا الموضوع بقوله : "لقد افترض زعماء يهود روسيا وأوربا الشرقية خطأً أن ناخبيهم من

---

=المؤتمر الصهيوني الاول ، وقد ادى دوراً رئيسياً في صياغة برنامج بازل ، أيد مشروع يوغنده ، ووقف ضد الصهيونية التقليدية المترمة ، ينظر : عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين ، المصدر السابق ، ص ٤٠٠-٤٠١ .

(١) ديزموند ستيوارت ، المصدر السابق ، ص ٣٧٠ .

(٢) خالد القشطيني ، مشروع انشاء المستعمرة اليهودية في يوغنده ، مجلة شؤون فلسطينية ، بيروت ، العدد ٢ ، ص ١٠٨ .

الجماهير اليهودية متفانون في سبيل فلسطين وحدها .... وقد تصوروا أنهم بمعارضتهم هذا المشروع يرضون ناخبهم" (١) .

أخذت الخلافات تتسع حول هذا الموضوع ، وكادت الامور تصل الى حدوث انشقاق داخل المنظمة الصهيونية ، لكن وفاة هرتزل في ٣ تموز عام ١٩٠٤ ، كانت بمثابة ضربة قاصمة للمشروع ، فلما عقد المؤتمر الصهيوني السابع عام ١٩٠٥ ، تم استعراض تقرير لجنة الدراسة والاستقصاء التي سبق لها ان أرسلت الى شرق افريقيا ، وقد جاء تقريرها سلبياً وغير مشجع ، حيث نبه الى وعورة المنطقة وعدم صلاحيتها للزراعة ، وأشار أيضاً الى الجو المعادي للمشروع بين المستعمرين الانجلوسكسون واستعدادهم لمقاومته بشتى السبل (٢) .

(١) أمين عبدالله محمود ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

(٢) لقد رفض المستعمرون الانجلوسكسون عرض حكومتهم (مشروع يوغنده) ، وقد عبروا عن هذا الرفض عن طريق الكتابة الى الصحف الصادرة في العاصمة لندن ، وقد كانت هذه الصحف تنشر هذه الكتابات والاحتجاجات . كما أن البعض منهم أخذ يكتب الى الحكومة البريطانية والى التاج البريطاني ، والبعض الآخر لم يكتفِ بالكتابة بل أخذ يتوعد اليهود بأشد أنواع المقاومة إذا هم جاءوا الى افريقيا الشرقية . ازاء هذا الضغط المتزايد ، اضطرت الحكومة البريطانية الى اصدار تصريح جاء فيه : "انها لم تلتزم ازاء اليهود بأكثر من وعد بدراسة امكانية انشاء مستعمرة يهودية وانها ستحتفظ لنفسها دوماً بحق العودة لاحتلال الاراضي اذا لم تتجح مسألة الاستيطان فيها" . ينظر: عبدالوهاب الكيالي ، المطامع الصهيونية التوسعية، منشورات مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، سلسلة دراسات (٣) ، ١٩٦٦ ، ص ٢٠-٢٢ ؛ خالد القشطيني ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

Dubnov , Simon , History of the Jews , vol ||| , New York , 1969 , p.120 .

طرح المشروع للتصويت ، فرفض باغلبية (٢٩٠) صوت ، مع موافقة (١٧٨) صوت ، وامتناع (٩٠) عضواً عن التصويت . وقام المؤتمر بارسال برقية الى الحكومة البريطانية جاء فيها : "تتمسك المنظمة الصهيونية دونما تردد بالمبدأ الاساسي لبرنامج بازل ، وترفض المنظمة سواء كان ذلك غاية أو وسيلة ، النشاطات الاستعمارية خارج فلسطين والاراضي المجاوره لها ، كما يقرر المؤتمر توجيه الشكر الى الحكومة البريطانية على العرض الذي قدمته في اقليم افريقيا الشرقية البريطانية (يوغنده) ويسجل المؤتمر شعوره بالرضى لاعتراف الحكومة البريطانية بالمنظمة الصهيونية" (١) .

وبهذا فقد تمكن الصهاينة الروس من حسم هذا الصراع لصالحهم داخل المنظمة الصهيونية ، وجعلوا من فلسطين الهدف الاساسي لعمل المنظمة الصهيونية سواء كان ذلك على الصعيد العملي أو الثقافي أو السياسي .

(١) أمين عبدالله محمود ، المصدر السابق ، ص ٢٢١ ؛ عبد القادر ياسين ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

## قائمة المصادر

١. اسعد عبد الرحمن ، المنظمة الصهيونية العالمية (تنظيمها واعمالها ١٨٩٧-١٩٤٨) ، منشورات مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٧ .
٢. افرايم ومناحين تلمي ، معجم المصطلحات الصهيونية ، ترجمة احمد بركات العجرمي ، عمان ، دار الجيل ، ١٩٨٨ .
٣. الان بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥ ، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين ، بغداد ، دار المأمون للترجمة والنشر ، ١٩٩٢ .
٤. امين عبدالله محمود ، مشاريع الاستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى الحرب العالمية الاولى ، موسوعة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٤ .
٥. اورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني : حياته واحداث عصره ، دار الانبار ، بغداد ، ١٩٨٧ .
٦. حسان حلاق ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩ ، دار الجامعة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠ .
٧. خالد القشطيني ، مشروع انشاء المستعمرة اليهودية في يوغندا ، مجلة شؤون فلسطينية ، بيروت ، العدد ٢ ، ١٩٧١ .
٨. ديزموند ستيوارت ، هرتزل اول دراسة موضوعية عن مؤسس الحركة الصهيونية ، ترجمة فوزي وفاء وابراهيم منصور ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٤ .
٩. ريجينا الشريف ، الصهيونية غير اليهودية جذورها في التاريخ الغربي ، ترجمة احمد عبدالله عبد العزيز ، موسوعة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٨٥ .
١٠. سلافة حجاوي ، الهجرة اليهودية الى فلسطين وسياسات الدول الكبرى ، مجلة دراسات فلسطينية ، بغداد ، العدد ٢٧ ، ١٩٧٨ .

١١. .... ، اليهود السوفييت دراسة في الواقع الاجتماعي ، منشورات مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، ١٩٨٠ .
١٢. صحفية القبس ، اليهود من اعتلاء الاسكندر الثاني العرش الى اغتياله ، الكويت ، العدد ٦٤٥١ ، ١٩٩٠ .
١٣. عبد القادر ياسين، الحركة الصهيونية، مجلة افاق عربية، بغداد، العدد ٢، ١٩٧٧ .
١٤. عبدالوهاب المسيري وسوسن حسين ، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية ، منشورات مركز الدراسات السياسية والستراتيجية بالاهرام ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
١٥. عبدالوهاب الكيالي، المطامع الصهيونية التوسعية ، منشورات مركز ابحاث منظمة التحرير الصهيونية ، بيروت ، سلسلة دراسات (٣)، ١٩٦٦
١٦. محمد عبدالله العيسى ، الفكر الصهيوني عند هرتزل بين النظرية والتطبيق (١٨٩٤ - ١٩٠٤) ، مجلة دراسات ، الجامعة الاردنية ، العدد ٢ ، ١٩٩٣
١٧. هاشم صالح التكريتي ، المسألة الشرقية : المرحلة الاولى ١٧٧٤ - ١٨٥٦ ، مطبعة دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٩٠ .
١٨. وسام حسين عبدالرزاق ، هجرة يهود روسيا الى فلسطين ١٨٨٢ - ١٩١٧ ، رسالة ماجستير غير منشوره ، كلية التربية (ابن رشد) ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ .
١٩. يوميات هرتزل، ترجمة هيلدا شعبان ، اعداد انيس صايغ ، منشورات مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨ .
20. Dubnov , Simon , History of the Jews , vol . III , New York , 1969 .

